مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 28 عدد:2 (رت 76) السنة: 2024

مضمرات السياق في ديوان (سقط الزّند) لأبي العلاء المعري

Implications of Context in the Diwan saqat el-zend by Abu Alaa Al-Maarri

كريبع عطا الله[1]
جامعة عمار ثليجي الأغواط
atallaprof12@gmail.com

تاريخ الوصول 2023/04/18 القبول 2024/01/06 النشر على الخط 2024/03/15
Received 18/04/2023 Accepted 06/01/2024 Published online 15/03/2024

ملخص:

يحاول هذا المقال أن يربط العمل الإبداعي الذي كتبه "أبو العلاء المعري" بالسياقات الثقافية المضمرة، هذه السياقات التي شكلت النظام الأساسي لهذا الأدب، وكان خلفية له بحيث كان مهيمنا وتاما وحاضرا في ما بين السطور، ويهدف هذا المقال إلى الكشف عن بعض هذه الأنساق التي تحكمت في مفاصل خطاب المعري المستتر؛ هذا ما حدا بنا بلهفة مشرقة، وحيرة محدقة إلى التساؤل: ما الروافد السياقية التي أسهمت في إنتاج النصوص الشعرية في ديوان (سقط الزّند) لأبي العلاء المعري؟ وكيف تجلت هذه المضمرات في ديوانه؟ أو بالأحرى ماهي العوامل السياقية الخارج نصية التي شيدت وأنتجت لنا نصه الشعري الفذ؟

الكلمات المفتاحية: السياق، المضمرات، الثقافية، شعر، "أبو العلاء المعري".

Abstract:

This article attempts to link the creative work written by Abu Ala Al-Ma 'ari to the cultural contexts that formed the statute of this literature, and it was a backdrop so that it was dominant, complete and present in between the lines. This article aims to reveal some of these patterns that governed the joints of the veiled nudist speech; This is what led us with a bright eagerness and a staring bewilderment to wonder what contextual tributaries contributed to the production of poetry texts in the Diwan Al-Zand for Abi Al-Alaa Al-Ma 'ari? How do these implications manifest themselves in his debt? Or rather, what out-of-text contextual factors have been constructed and produced for us his poetic, feat text**?**

Keywords: Context, Intrigue, Cultural, Poetry, Abu Ala al-Maarei**.**

[1] – المؤلّف المراسل: كريبع عطا الله البريد الإلكتروني: **atallaprof12@gmail.com**

1. مقدمة:

تعتبر مضمرات السياق إحدى محددات مخرجات النص الإبداعي، ذلك أنها ترصد الخلفية الأدبية والأخلاقية والاجتماعية والدينية والأيديولوجية التي ساهمت في بناء النص، أو انسجمت معه وعاضدته أو وقفت منه موقف الناقد الرافض، أو المنساق، أو المبرر، ويتوفر ذلك بكثرة في الآداب العربية القديمة على صعيد الشعر والنثر، ذلك أن هذا الأدب سياقي بامتياز، تتولى مضمرات متعددة الروافد في إنتاج هذا النص، ولعل أبا العلاء المعري صاحب الثقافة الموسوعية التي ما توافرت لشاعر كما توفرت لديه، أكثر هؤلاء الشعراء حضورا في مجال محددات السياق المضمر؛ ذلك أن النص الشعري الذي أنتجه في ديوانه الأول (سقط الزّند) مترع بالمضمرات التي تنتبه إلى بعضها كثير من شراح الديوان، وبقي الكثير منها ينتظر الكشف والجلاء.

يهدف هذا المقال إلى رصد تجليات وتمظهرات تلك المضمرات بغية الوقوف على بعض آليات انتاج النص الشعري والعوامل الخارجية المتحكمة فيه.

تفرد شعر "أبي العلاء المعري" في ديوانه (سقط الزّند) بميزة قلما شاركه فيها من سبقه من الشعراء ومن لحقه، تمثلت هذه الخصيصة في الإحالة على أشعار من سبقه إما استدعاء مباشرا بألفاظها، أو استدعاء لأحداث ووقائع تحيل عليها، وكان الشعراء قبله باستثناء أبي نواس في بعض المواضع يتهيبون هذا الاستعمال لصعوبته وخوف الاتهام بالتضمين وهو شكل من أشكال السرقة في أعراف النقاد، أما أبو العلاء فقد مكنته ثقافته عديمة النظير من استحضار أشعار غيره وأخبارهم وتوظيف كل ذلك في نسيج تناصي فسيفسائي بديع.

وكان الدافع إلى الإكثار من ذلك جملة من المضمرات السياقية التي تصب في بؤرة التعالي الثقافي، والظهور بمظهر المطلع المتفنن والمتصرف المقتدر في هذا التراث الذي يجهله، أو يجهل أكثره مثقفو عصره فالإكثار من هذه الميزة التي صارت مؤشرا من مؤشرات أسلوبه الشعري والنثري، جاء رغبة منه في التميز عن شعراء عصره والظهور عليهم، ولم يكن له دافع آخر سوى هذا الدافع المحيل على التفرد والظهور، ولقد وفق في ذلك توفيقا كان مثار الإعجاب لدى قراء شعره وشراحه، بل إن الاستحسان يكاد ينسحب حتى على قراء اليوم.

وتنوع توظيفه في شعره بما يمكن تصنيفه إلى جملة من التفصيلات تسهل تتبع هذا الرافد الكبير من روافد شعره.

فقد يستدعي شخصيات من التراث الشعري القديم لصفات فيها لا علاقة لها بالشعر، فاللون الأسود للشاعرين سحيم عبد نبي الحسحاس ، وخفاف بن ندبة كان وراء هذا الاستدعاء في شعره حين شبه الغراب بهما في قوله:[1]

لا خابَ سَعيُكَ من خُفافٍ أسحمٍ* كسُحيمٍ الأسَديّ أَو كَخُفافِ**

فالخفاف الذي هو الغراب كان الدافع إلى استحضار اسم الشاعر "خفاف بن ندبة".

ومثله قوله.[2]

نكَّستِ قُرطيكِ تعذيبًا وما سحرَا* أخِلْتِ قِرطَيكِ هَارُوتًا ومـــــــارُوتَا**

[1]- أبو العلاء المعري: (سقط الزّند)، دار بيروت للطّبعة والنّشر 1980، ص 32

[2]- نفس المصدر، ص 173

لو قلتِ ما قالَهُ فِرعَونَ مُـــــفترِيًا* لخِفتُ أَنْ تُنصبي فِي الأرضِ طاغُوتَا**

فالأقراط تعلق في الأذن وتظل منكسة مثلما نكس هاروت وماروت في بئر بابل إلى يوم القيامة؛ لأنهما علما الناس السحر، ومثلما سحر القرطان من رآهما.

وقد بلغت المحبوبة كمالا، وعزة إلى درجة لم تؤتمن معها على ادعاء الربوبية كما ادعاها "فرعون".

وقد يشير إلى حادث، أو واقعة من الوقائع، وقد تكون عظيمة، وقد تكون حقيرة لا يأبه بها، وكل ذلك ليوضح رأيا، أو يدعمه، أو يفنده، أو يكون استرسالا وترفا معرفيا مظهرا للمقدرة ومثل ذلك قوله: [1]

إنَّ الْـهَـدَايَـا كَـرَامَـاتٌ لِآخِـذِهَـا* إنْ كُـنَّ لَـسْـنَ لِإِسْـرَافٍ وَأَطْـمَـاعِ**
وَلَـمْ أَكُـنْ وَرَسُـولِي حِـينَ أُرْسِلُـهُ ***مِـثْـلَ الْـفَـرَزْدَقِ فِـي إِرْسَـالِ وَقَّـاعِ

"فوقاع" غلام الشاعر "الفرزدق"، وكان يرسله في شراء الخمر ومواعدة النساء، فنزه "أبو العلاء" رسوله عن هذه الأفعال، وفي ذلك إشارة إلى تعالي "أبي العلاء" عن أفعال الفرزدق الذميمة، فالإضمار السياقي يشجع على ذلك ويرجحه.

ومثله قوله: [2]

مَشَى للوَجْهِ مُجْتَاباً قَـــمِيصاً* كلامَةِ فارسٍ يُرْمَى بـــــــلامِ**

كدِرْعِ أُحَيْحَة الأوْسيّ طالتْ* عليه فهْيَ تُسْحَبُ في الرَّغامِ**

فهنا يشير إلى درع حصينة للشاعر "أحيحة الأوسي" ورد خبرها في كتاب الأغاني،[3] لا يتعلق بها شعر وإنما تعلق بها خبر من الأخبار تجده مبسوطا في الأغاني، فهو هنا يستحضر متعلقات غير ضرورية، لكنه ترف ثقافي يظهر به "المعري" ومقدرته التاريخية، والأدبية في المعرفة والاستحضار والتوظيف، وهو نوع من تعالي الفحولة الشعرية منعدمة المثيل.

ومثله قوله: [4]

تَـطَـيَّـرَ لِـهْبِيٌّ تَـلَـهَّـبَ قَلْـــــبُـهُ* بِأَسْحَـمَ يَـرْدِي فِـي الدِّيَـارِ وَأَبْـقَـعِ**
دَعِ الـطَّـيْـرَ فَـوْضَـى إِنَّـمَـا هِـيَ كُلُّـهَا * طَـوَالِـبُ رِزْقٍ لَا تَـجِـيءُ بِـمُـفْـظَـعِ**

[1]- أبو العلاء المعري، (سقط الزّند)، مصدر سابق، ص 132
[2]- نفس المصدر، ص 42
[3]- الأصفهاني: الأغاني، دار الثّقافة بيروت، ط 6، 1983، ج 15، ص 42.
[4]- أبو العلاء المعري: (سقط الزّند)، ص 163.

ويشير هنا إلى ظاهرة زجر الطير لدى قبيلة بني لهب، وهو يكذب بذلك طبعا ويرى أن الطير تطلب الرزق لا لتجلب نحسا، أو سعدا، واستدعى حادثة لبعض الشعراء في زجر الطير، وهو "كثير عزة" حيث يقول: [1]

تَيَمَّمتُ لَهَبًا أَبتَغي العِلم عِندَهُم* وَقَد رُدَّ عِلمُ العَائِفِينَ إلى لَهَبِ.**

ويقف موقف الضد مما ذهب إليه الشاعر "كثير عزة" ويكذبه:

1- مضمرات السياق التناصي:

في الكثير من الأحيان يضمن "المعري" في بعض قصائده مقاطع شعرية من أشعار غيره بنصها، وهو يبرع في ذلك براعة كبيرة نادرة، وقد يكون التضمين جملة طويلة، أو قصيرة، أو إشارة تحيل إلى شعر شاعر غيره، اقتضاها السياق والصياغة الفنية، وهذا الاستجلاب يمثل لديه ترفا شعريا يتعالى به في عيون قراء شعره، هذا يدل على مستوى ثقافي كبير يندر وجوده، ثم إن طريقة توظيفه تجعل المعري أمير هذا الفن في الشعر العربي، والأمثلة على ذلك كثيرة يقول:[2]

وَلَا هَدِيَّةٌ عِندِي غَيرَ مَا حَمَلَتُ * عَنِ المُسَيّبِ أَروَاحٌ لِقَعقَاعِ**

فهو هنا يشير إلى قصيدة للشاعر "المسيب بن علس" في مدح "القعقاع بن معبد" حيث يقول:[3]

فَلَأُهدِيَنَّ مَعَ الرِّيَاحِ قَصِيدَةً * مِنِّي مُغَلغَلَةً إِلَى الـــــــقَعقَاعِ**

فهدية المعري قصيدة وكذا هدية المسيب، هاتان القصيدتان تبعثان شفهيا تنقلهما الريح من مورد إلى مورد حتى تأتيا الممدوحين.

فالتناسب هنا هو الذي هو الذي استدعى المناسبة.

يقول أيضا: [4]

مَن قَالَ صَادِق لِنَامَ النَّاسِ قُلتُ لَهُ: * قَولَ بنَ أَسلَتِ: فَقَد أَبلَغَت أَسمَاعِي.**

وفيه إشارة إلى قول "أبي قيس بن الأسلت":[5]

قالَت وَلَم تَقصِد لِقَولِ الخَنا* مَهلاً فَقَد أَبلَغتَ أَسماعِ**

ويمكن ملاحظة تناسب المعنى في البيتين حيث يرفض "المعري" مصادقة اللئام، ويرفض من يشير عليه بذلك، ويطلب منه السكوت والأمر قريب من قول ابن الأسلت، فالتناسب هنا هو الذي استدعى المناسبة في المعنى وجعل الشاعر يتذكر من سبقه من الشعراء ووقع منه نفس الموقف، فيذكره "المعري" تدليلا وتفننا وتزيينا لشعره.

---

[1]-الأصفهاني:الأغاني، ج9 ص 33

[2]- أبو العلاء المعري: (سقط الزّند)، المعري، ص 132

[3]- لويس شيخو: شعراء النّصرانيّة قبل الإسلام ، دار المشرق، بيروت، ط3/ 1967، ص 351 ص 351

[4]- أبو العلاء المعري: (سقط الزّند)، ص 131

[5]- ابن عبد ربه: العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين وآخرين، دار الكتاب العربي، بيروت، 1982، ج5، ص 489.

وقد يكون التضاد هو علة التضمين والإشارة كقوله:[1]

لَيسَت كَنَارِي عُدَيٍّ نَارُ عَادِيَةٍ * بَاتَتْ تَشُبُّ عَلَى أَيدِي مَصَالِيتَا**

وَمَا لَبينَا وَإِن عَزبَ بِـــــرُبَتِهَا * لَكِنَّ غَذَتْهَا رِجَالُ الهِندِ تَربِيتَا**

فهو يتكلم عن السيوف التي تشبه النار في تلهبها ويقول إنها نار ليست كنار الشاعر "عدي بن زيد" حيث يقول:[2]

يا لُبَينَى أَوقِدي النَّارا* إنَّ مَن تَهوَينَ قَد حَارَا**

ثم يقول إن هاته السيوف لم تقد نارها لبينا، وإنما ربتها وسوتها سواعد الهنود فهي السيوف الهندية، فالتضاد هنا مخرج للإيهام الفني الذي صنعه المعري وقذفه في ذهن متلقيه، ثم جاء بما يصحح أفق هذا التلقي ويوجهه في بنية تناصية بديعة.

يقول أيضا معبرا عن شوقه وأسفه على تركه بغداد[3]

ذَمَّ الْـوَلِيـدُ ولَـمْ أَذْمُـمْ جِـوَارَكُـمُ* فَقَالَ مَا أَنْصَفَتْ بَغْدَادُ حُوشِيتَا**

فَإِنْ لَقِيتُ وَلِيدًا وَالنَّوَى قَذَفٌ ***يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ أُعْدِمْهُ تَــبْكِيتَا

"فالوليد" الذي هو "البحتري" عتب على بغداد وخرج منها وقال: [4]

ما أَنصَفَت بَغدادُ حينَ تَوَحَّشَت* لِنَزيلِها وَهيَ المَحَلُّ الآنِسُ**

أما "المعري" فلا يذم بغداد بل يسترسل قائلا: إنه عندما يلقى "البحتري" يوم القيامة يلومه لوما عنيفا على ذمه مدينة بغداد، فبواسطة موقف التضاد أظهر لنا موقفه الذي يقع على طرفي النقيض مع "البحتري"، ومن جهة أخرى يتعاطى بهذا الاستعمال ويقع متلقيه في موقع الحيرة والإعجاب والتبجيل، وهذا من مضمرات السياق التي كان "المعري" يعمل عليها ويغتنمها كلما ظهرت له.

ويقول أيضا.[5]

كدعوى مسلم ليزيد حمل السوابغ في التفاؤل والسلام.

فهو هنا يشير إلى قول "مسلم بن الوليد".[6]

تَراهُ في الأَمنِ في دِرعٍ مُضاعَفَةٍ* لا يَأمَنُ الدَهرَ أَن يُدعى عَلى عَجَلِ**

فجاء بهذه الإشارة مشيدا بالممدوح الذي لا ينفك لابسا درعه في الحرب والسلم، استعدادا لكل حرب مفاجئة، وفيه من المبالغة ما فيه ولذلك جعل "المعري" ذلك دعوى كأنه استبعدها.

---

[1]- أبو العلاء المعري: (سقط الزّند)، ص 171

[2]- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج 6، ص 18.

[3]- أبو العلاء المعري: (سقط الزّند)، ص 176/175

[4]- البحتري: الديوان: دار بيروت للطّباعة والنّشر، لبنان، 1983، ج1، ص 430.

[5]- أبو العلاء المعري: (سقط الزّند)، ص 42

[6]- الأصفهاني: الأغاني : ج18 ص 318

2- مضمرات التعالي الفحولي:

"المعري" كغيره من الشعراء العرب، وليد بيئة ذكورية تعلي من قيمة الفحولة، سواء كانت هذه الفحولة في الحرب أو الشعر أو الكرم أو كل ما تقدسه البيئة العربية، ولذلك نجد المعري في شبابه قد ركب هذا المركب القائم في كثير من الأحيان على الادعاءات الفارغة أو الجعجعات المتهورة ويبدو أن إعجابه بالمتنبي هو الذي سهل له ركوب هذا المركب، الذي لا يتلاءم مع شخصية "المعري" التي انصرفت بعد ذلك نهائيا عن فكرة الفحولة وتجلياتها وفتوحاتها الجوفاء فيما بقي من عمره.

وتتجلى الفحولة الصارخة في بعض قصائد ديوانه (سقط الزّند)، وإن لم تكن بالكثيرة لكنها تصلح لاستكشاف هذه الناحية من تركيبة نفس "أبي العلاء" في شبابه.

يقول:[1]

أَلَا فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ مَا أَنَا فَـاعِلُ* عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَنَـائِلُ**

أَعِنْدِي وَقَدْ مَارَسْتُ كُلَّ خَـفِيَّةٍ* يُصَدَّقُ وَاشٍ أَوْ يُخَيَّبُ سَـائِل**

تُعَدُّ ذُنُوبِي عِنْدَ قَوْمٍ كَـثِيرَةً* وَلَا ذَنْبَ لِي إِلَّا الْعُلَا وَالْفَوَاضِلُ**

وَقَدْ سَارَ ذِكْرِي فِي الْبِلَادِ فَمَنْ لَهُمْ* بِإِخْفَاءِ شَمْسٍ ضَوْءُهَا مُتَـكَامِلُ**

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْأَخِيرَ زَمَـانُهُ* لَآتٍ بِمـَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ**

"فالمعري" يسعى في تحصيل المجد بكل طرائقه، فالعفاف والطهارة والشجاعة والحزم والكرم، وحسن الرأي والمعرفة الدقيقة بخفايا النفوس، كل لذلك جعل له أعداء كثرا، وعدوا له ذنوبا كثيرة هي في الحقيقة مكارمه وفضائله، والناس أعداء الفضائل والمكارم، وهم غير ملومين حين يحسدون من سار ذكره وسطع كالشمس بحيث لا تخفى بأي مكان، وإن كان عيبه أنه جاء متأخرا فإنه يستطيع أن ينجز ما لم ينجزه من سبقوه رغم عبقرياتهم ومساعدة الأيام لهم.

هذه المتعاليات تقوم على متضادات متقابلة يرفضها المجتمع العربي عموما، إذ تمثل هوة المساوئ التي لا غاية بعدها في السوء، وما يقابلها يمثل قمة ما يمكن أن تصل إليه النفوس الطموحة، وبالتالي فهو يدعي لنفسه القمة في مقابل الهوة التي تترفع عنها نفسه.

يقول أيضا:[2]

فَأَيُّ النَّاسِ أجْعَلُهُ صَـدِيقَا* وأيّ الأرضِ أسْلُكُهُ ارْتِيَـادَا**

ولو أنّ النّجومَ لديّ مـالٌ* نَفَتْ كَفّايَ أكْثرَها انْتِـقادَا**

كأنّي في لِسانِ الدهْرِ لَفْظٌ* تَضَمّنَ منه أغْراضاً بِـعَادَا**

يُكَرّرُني ليَفهَمَني رِجـالٌ* كما كَرّرْتَ مَعْنىً مُـسْتَعادَا**

---

[1]- أبو العلاء المعري: (سقط الزّند)، ص 193

[2]- أبو العلاء المعري: (سقط الزّند)، ص 198

ولو أنّي حُبِيتُ الخُلْدَ فَرْداً* لمَا أحبَبْتُ بالخُلْدِ انــفِرادَا**
فلا هَطَلَتْ عَلَيّ ولا بأرْضي* سَحائبُ ليسَ تنْتَظِمُ البِلادَا**

وهنا يبلغ قمة التعالي والادعاء حين لا يجد من الناس من يتخذه صديقا لعدم وجود نظير له، ولا يجد مسلكا في الأرض يسعه فكل الطرق لا تتحمل فضله، ولو كانت له النجوم أموالا لبددها كرما ولما أمسك منها شيئا.

ويبلغ ذروة التعالي حين يرى الدهر يردد اسمه دون الأسماء، لأن هذا الاسم يحمل من المعاني والمعالي ما يعجز عنه الدهر، وعن فهمه، وأن هذا الاسم يكرره الناس ليفهم منه الناس جملة هذه الفضائل الغريبة.
ثم يقول لو أن الله أدخلني الجنة وحيدا لما استطبت البقاء في هذه الجنة بدون مشاركة الناس، فالمطر الذي لا يعم البلاد لا يسعه الفرح والاستبشار به.
ويبلغ درجة كبيرة من هذا التعالي إلى أن يصل إلى المستحيل حين يقول:[1]

وَكَم مِن طالِبٍ أمَدي سيَلْقى* دُوَيْنَ مَكانيَ السبْعَ الشّدَادَا**
يُؤجِّجُ في شُعاعِ الشمسِ ناراً* ويَقْدَحُ في تَلَهّبِها زِنـــــادَا**
ويَطْعَنُ في عُلايَ وإنّ شِسْعي* لَيَأنَفُ أن يكونَ له نِـــجَادَا**
ليَ الشّرَفُ الّذي يَطَأُ الثُــريّا* معَ الفَضْلِ الذي بَهَرَ العِبَادَا**

فأنظر حين جعل نفسه منية النفوس إلى درجة أن العيون تتمنى أن تراه، ولو فقدت البصر بعد رؤيته، وهذا منتهي ظاهرة الاستفحال التي أحلتها سياقات ثقافية، وقبلية، وتاريخية جعلت هذا النوع من الفحولة المزيفة ميزة الشعر العربي عموما قديمه وجديده، والمعري وجه من وجوه تلك التجليات.

3- مضمرات التعالي المقامي:

ونقصد بالمقام مقام المتلقي الذي وجّه إليه الكلام، فكان أبو العلاء يراعي ذلك جيدا، ويستقلّه ليبرز طاقته الإبداعية، أمام وعي هذا المتلقي الخاص، فهو يلجأ إلى الميزة التي امتاز به الموجّه له الخطاب ويظهر معرفته بدقائق تلك الميزة حتى يرتفع في عين ذلك المتلقي.

وليعرفه بأن تلك الميزة يشاركه الشاعر بمعرفتها، ولذلك عندما خاطب الفقيه "أبا حامد الاسفراييني" عند دخوله بغداد، حشد في هذه القصيدة المدحيّة عناصر كثيرة من عناصر الفقه ليظهر معرفته فيعلو مقامه في عين ممدوحه . يقول: [2]

وَرُبَّ ظُهْرٍ وَصَلْنَاهَا عَلَى عَـــجَلٍ* بِعَصْرِهَا فِي بَعِيدِ الْوِرْدِ لَمَّـــاعِ**
بِضَرْبَتَيْنِ لِطُهْرِ الْوَجْهِ وَاحِـــــدَةٌ * وَلِلذِّرَاعَيْنِ أُخْرَى ذَاتُ إِسْـــرَاعِ**

[1]- نفس المصدر، ص 199/198.
[2]- أبو العلاء المعري: (سقط الزّند)، ص 130، 131.

وَكَمْ قَصَرْنَا صَلَاةً غَيْرَ نَـــــافِلَةٍ* فِي مَهْمَهٍ كَصَلَاةِ الْكَسْفِ شَعْشَاعِ**
وَمَا جَهَرْنَا وَلَمْ يَصْدَحْ مُـــــؤَذِّنُنَا* مِنْ خَوْفِ كُلِّ طَوِيلِ الرُّمْحِ خَــدَّاعِ**
فِي مَعْشَرٍ كَجِمَارِ الرَّمْيِ أَجْــمَعُهَا* لَيْلًا وَفِي الصُّبْحِ أُلْقِيهَا إِلَى الْقَــاعِ**
يَا حَبَّذَا الْبَدْوُ حَيْثُ الضَّبُّ مُخْتَرِشٌ* وَمَـنْـزِلٌ بَـيْـنَ أَجْـرَاعٍ وَأَجْـــــــزَاعِ**
وَغَسْلُ طِمْرَيَّ سَبْعًا مِنْ مُــعَاشَرَتِي* فِي الْبِيدِ كُلَّ شُجَاعِ الْقَلْبِ شَــرَّاعِ**

فأخبرنا الممدوح أنّه في سفره كان يجمع الظّهر والعصر جمع تقديم في صحراء لاماء فيما سوى السّراب اللمّاع، ولذلك كان يتيمّم وأخبرنا، بكيفيّة التيمّم الصّحيحة، ثمّ أخبرنا أنّه كان يقصّر الصّلاة لأنّه مسافرٌ، وأنّ القصر لا يمسّ النّافلة، وإنّما الصّلاة الرباعيّة المفروضة، وأخبر ممدوحه أنّهم لا يجهرون بالصّلاة خوف الأعراب قطّاع الطّرق. ثمّ أعطانا صورة بديعة لأصحابه حين شبّههم بجمرات الحجّ التي يجمعها الحاجّ ليلاً ليرميها صباحاً، فكذلك أصحابه كان يجمعهم ليلاً خوفاً عليهم فإذا طلع الصّباح وزّعهم على حسب مهامّهم، ثمّ مدح عيش البادية حيث الصّيد بواسطة الكلاب التي يجب غسل الإناء والثّوب إذا مسّهما ريقُها سبعاً بالماء وواحدة بالتّراب إشارةً إلى الحديث الشريف[1]:" طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلبُ أن يغسلهُ سبع مرّاتٍ أولاهنَّ بالتُّرابِ" ولابدّ أنّ هذا الاستعمال قد وقع موقعاً حسناً من قلب الممدوح الفقيه، وعلت به مكانة أبي العلاء لديه.

وحين كان يمدح الأشراف من أهل البيت عليهم السّلام كان يركّز على المعتقد الشّائع فيهم، سواءً كان هذا المعتقد ممّا جاء به الخبر الصّحيح، أو كان من معتقدات العامّة:
يقول في رثاء "أبي إبراهيم العلوي" مخاطباً روحه:[2]

[1]- الصّنعاني: سبل السّلام، دار الجيل، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ج1، ص 28.
[2]- أبو العلاء المعري: (سقط الزّند)، ص 23.

تَقَرّبَ جبريلٌ بُروحِكَ صـــــــــاعِداً* إلى العرشِ يُهديها لجَدّك والأُمّ**
فدُونَكَ مَختُومَ الرّحيقِ فإنّـــــــــــما* لِتَشرَبَ منهُ كان يُحفظُ بالخَتْمِ**
ولا تَنْسَني في الحَشرِ والحوضِ حوْله* عصائبُ شتّى بينَ غَرٍّ إلى بُهْمِ**
لَعَلّكَ في يـــــوْمِ القـــيامة ذاكري* فتَسألَ رَبّي أنْ يُخَفّفَ من إثْمي**

لتضل فكرة الشفاعة التي ميزة آل البيت وفق المعتقد الشيعي، معتمدا على شفاعته التي تنيره يوم القيامة ليغدو محبا وفق نسق ديني محض

خاتمة:

مما سبق ندرك أن الروافد السياقية المضمرة التي تحكمت في إنتاج النص الشعري الأدبي "المعري" في ديوانه الأول تنوعت بين مضمرات دينية، وعقدية، وتوجيهية دلاليا، سواء إلى نفسه، أو إلى المتلقي الموضوعي، أو المتلقي المثالي.

وبدون الكشف عن جذور تلك المضمرات يغدو النص الشعري فاقدا الكثير من جماليته، من جهة ولعمق دلالته من جهة ثانية، وقد كان الشراح العرب القدامى على وعي كبير بجانب من هذه المضمرات، وبقيت جوانب تولت المناهج السياقية المعاصرة كشفها وإيضاحها. لتغدو مفاصل النص الإبداعي أكثر جلاء وفهما، وأقرب إلى فهم العوامل التي تتولى إخراج هذا المنجز الإبداعي إلى حيز الوجود.

المصادر والمراجع:

- أبو العلاء المعري: (سقط الزّند)، دار بيروت للطّبعة والنّشر 1980.
- الأصفهاني: الأغاني، دار الثّقافة بيروت، ط 6، 1983، ج 15.
- لويس شيخو: شعراء النّصرانيّة قبل الإسلام ، دار المشرق، بيروت، ط3/ 1967.
- ابن عبد ربه: العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين وآخرين، دار الكتاب العربي، بيروت، 1982.
- البحتري: الديوان: دار بيروت للطّباعة والنّشر، لبنان، 1983، ج1.
- الصّنعاني: سبل السّلام، دار الجيل، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.